قصيدة "المدائح النبوية": دراسة تحليلية في نحو النص

The Poem of "Prophetic Praises", An Analytical Study in the Grammar of the Text

إعداد: د. فادي عوني محمود الشلالدة؛ أستاذ اللغة والنحو، كلية العلوم الإسلامية، الخليل، فلسطين

Prepared by: Dr. **Fadi Awni Mahmoud Al-Shalaldi**: Assistant Professor of Arabic Language and Grammar, Islamic Sciences College, Hebron –Palestine

الملخص:

لقد قرر الباحثون في نحو النص أن الترابط النصي له أهمية بالغة في نحو النص؛ لأنه يتعامل مع النص على أنه بنية كلية، فيقوم بتحليل الخواص التي أدت إلى تماسكه، ولهذا يمزج في دراسته للنص بين جميع المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية، وهو في ذلك يبحث عن الاتساق والانسجام، وتحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين هذه المستويات اللغوية المختلفة.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل قصيدة المدائح النبوية دراسة في نحو النص، فهو نمطٌ من التحليل يعطي الجملة حقها ويعدها وحدة محورية لبنية النص، فيقوم بدراسة العلاقات التركيبية المكونة داخل الجملة من خلال تحليل النص بِدءاً من العلاقات ما بين الجمل ثم الفقرة ثم النص أو الخطاب بتمامه.

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال دراسة العلاقات اللغوية التركيبية التي وظّفها الشاعر في ثنايا الجمل والعبارات المكونة للنص، فكان نصّه نصّاً متلاحماً ومترابطاً في مغزاه المنشود، وهو مدح الرسول–صلى الله عليه وسلم–، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1. أنّ الشاعرَ أبدع في عملية بناء هذا النص الشعري، فكان يحرصُ على تماسك محاور النصّ دلالياً وتداولياً.
2. استطاع الشاعر أن يوظّف عناصر الربط اللغوية التركيبية القائمة بين الجمل والعبارات المُكوِنَة للنصّ الشعري.
3. التركيز على تنويع الإحالة الضميرية ومرجعيتها.
4. الكشف عن أدوات الانسجام من خلال حضور الأدوات اللغوية، التي ساهمت في تماسك النص الشعري، وبيان قدرة النص على التبليغ دلالياً وتداولياً.

الكلمات المفتاحية: النص، دلالات معجمية، تحليل، الترابط النصي، العلاقات التركيبية.

Abstract:

Text grammar researchers have determined that textual coherence is of paramount importance in text grammar; Because it deals with the text as a total structure, it analyzes the properties that led to its cohesion, and for this reason, in this study of the text, I mix all the phonetic, morphological, grammatical, lexical, and semantic levels, and in this I search for consistency and harmony, and achieving complete interdependence between the beginning of the text and its end. without separating these different language levels.

This research aims to analyze the poem of prophetic praises as a study in the grammar of the text, as it is a pattern of analysis that gives the sentence its right and considers it a central unit of the text structure. .

In this study, the researcher relied on the descriptive-analytical approach, by studying the structural linguistic relations that the poet employed in the folds of the sentences and phrases that make up the text. Its text was coherent and coherent in its desired meaning, which is the praise of the Messenger - may God bless him and grant him peace. This study find and reaches many results:

1. The poet excelled in the process of constructing this poetic text, as he was keen on the coherence of the text's axes, semantic and pragmatic.
2. The poet was able to employ the structural linguistic elements existing between the sentences and phrases that make up the poetic text.
3. Focus on diversifying the pronoun and its reference.
4. Revealing the tools of harmony through the presence of the linguistic tools, which contributed to the cohesion of the poetic text, and the statement of the text's ability to communicate semantic and pragmatically.

Keywords: text, lexical semantics, analysis, textual coherence, structural relationships.

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

الحمدُ لله حمداً طيباً مباركاً، يليق بمقامه وشأنه وعظمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

عنى الدارسون والباحثون المعاصرون بالمفاهيم المعرفيّة في مجال تحليل الخطاب ولسانيات النص؛ لأنها تمثل الأُسس المعرفيّة لإنتاج المنهج الملائم لمقاربة أي خطاب.

فالنص ليس مجرد وصف اعتباطي للكلمات والجمل وأشباه الجمل، بل مترابط ومتسق ومنسجم في بنائه؛ لذلك إنَّ أي نص أدبي "يرتكز في بنائه على مجموعة من العلاقات الدلالية تتجلى بين متواليات، وتتلاحم في بناء منطقي مُحكم، سواء كان ذلك على مستوى البنية السطحية أو البنية العميقة " (1). ارقام التوثيق تكون لأعلى [1]

وركز "نحو النص" في بحثه لنصيّة النص على التماسك النصيّ، وهو قائم على علاقات اتساق بين الوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكوّنة للنص، وعلى علاقات انسجام تشمل العلاقات المعنوية الظاهرة والمخفية والمعطيات المشكلة لإطار تلقي النص[2].

وتكمن مشكلة الدراسة في أنها تناولت قصيدة المدائح النبوية دراسة تحليلية في نحو النص؛ لأنّ الشاعر استطاع أن يوظّف العلاقات الدلالية التي جعلت القصيدة نصاً متلاحماً، فكان هدف الدراسة تحليل النص الشعري من خلال الوقوف على خباياه الدلالية والنحوية، التي أسهمت في تماسك النص واستنباط الوسائل اللغوية التي أدلى بها الشاعر، ووظّفها كي تشمل العلاقات الدلالية السطحية والعميقة.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن جملة من الأسئلة أهمّها:

1. هل نجح الشاعرُ في توظيف العلاقات الدلالية التي أسهمت في بناء النص؟

---

[1] فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، ط1، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، 2006م، ص11.

[2] عثمان أبو زنيد، نحو النص "إطار نظري ودراسات تطبيقية"، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2010، ص 5.

2. هل أبدع الشاعر في تنويع العلاقات ما بين أدوات نحوية كالإحالة الضميرية، والاستبدال، وغيرهما؟
3. هل كان استخدام الوسائل اللغوية مراعياً للقيمة الدلالية التوجيهية للبيت الشعريّ؟
4. كيف يمكننا استقصاء القيمة الدلالية للبيت الشعريّ؟

واعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال استقصاءالقيمة الدلالية للعلاقات اللغوية التركيبية، التي استخدمها الشاعر في بناء القصيدة ووظّفها توظيفاً متيناً، فكان نصّه نصّاً متلاحماً ومترابطاً في مدح الرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم–.

وفي ضوء هذه المقاربات، تهدف هذه الدراسة إلى معرفة القواعد والعلاقات التي تنتظم النص، فحاول الباحثُ توظيف تقنيات نحو النص ووسائله في دراسة تطبيقية على قصيدة أحمد شوقي "المدائح النبوية" هادفاً إبراز خواصها التركيبية ووظائفها النصيّة في عملية انسجام النص وتماسكه.

اقتضت منهجية البحث تقسيمه إلى سبعة محاور متواترة، وهي:

- **المحور الأول:** موضوع الخطاب وأثره في بناء النص.
- **المحور الثاني:** السياق وأثره في تشكيل النص.
- **المحور الثالث:** الإحالة الضميرية ودورها في تماسك النص.
- **المحور الرابع:** الاستبدال ودوره في ترابط النص.
- **المحور الخامس:** الحذف ودوره في ترابط النص.
- **المحور السادس:** الوصل ودوره في ترابط النص.
- **المحور السابع:** الاتساق المعجمي ودوره في اتساق النص.

المحور الأول: موضوع الخطاب وأثره في بناء النص:

يُعدّ موضوع الخطاب آلية من آليات الانسجام النصي، إذ بفضله يتماسك النص ككل، حيث أن المواضيع الجزئية المشكّلة له تتجمع وتنتظم لتؤدي في النتيجة إلى موضوع أساسي يدور حوله الخطاب.

"إن تحديد موضوع النص يسمح للمتلفظ المشارك بتأويله بتجاوز نقائصه وبالاحتفاظ إلا بما هو مناسب لهذا الموضوع" (1) وعلى هذا الأساس فإنَّ قصيدة "المدائح النبوية" تتألف من (131) بيتاً موزعة على سبعة مقاطع متفاوتة في عدد أبياتها، وكل مقطع يتناول موضوع جزئي قد يصلح أن يكون قصيدة مستقلة، إلاَّ أنَّ المتعمق لحركة النص أفقياً وعمودياً يرى بأن مقاطعة تتآزر فيما بينها؛ لتشكل بنيه كلية كُبرى، ومن هنا سوف نقوم بعملية استقراء وتصنيف للمقاطع وذلك باعتبار كل مقطع يعبر عن موضوع واضح.

5. **المقطع الأول:** ولادة النبي - صلى الله عليه وسلم-، واستبشار الكائنات والزمان والعالم بمولده.
6. **المقطع الثاني:** مجيء الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى الوجود وتبشير الأنبياء به وجماله وأخلاقه العالية.
7. **المقطع الثالث:** قدرة الرسول – صلى الله عليه وسلم-، واستطاعته تلقي القرآن الكريم ومخاطبة قومه بلسان عربي مبين.
8. **المقطع الرابع:** عدالة الرسول – صلى الله عليه وسلم- بين الرعية.
9. **المقطع الخامس:** حادثة الإسراء وقد وصف بها الرسول- صلى الله عليه وسلم-.
10. **المقطع السادس:** شجاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم- وأخلاقه في الحرب.
11. **المقطع السابع:** دور الرسول- صلى الله عليه وسلم- في إرساء الحق والإيمان وتمنيات الشاعر بأن يأتي مُصلح على منهج النبوة بعد هذا الرقاد الذي أصاب الأمة.

من خلال هذه المواضيع الجزئية لكل مقطع، فإنَّ مدار ومحور القصيدة هو "الرسول – صلى الله عليه وسلم-، مع تغيير في ذكر الجوانب الحياتية والخلقية له: " مولده وتبشير الله به"، أخلاقه، علمه، بلاغته، عدله، الإسراء به، شجاعته، عدله وبناؤه للحضارة العادلة"، فهذه المواضيع كلها

(1) دومنيك موتفانو: المصطلحات، المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: "محمد بحياتن" ط1، منشورات الاختلاف، 2005، ص 120.

جاءت بغرض الإطراء والمدح. كما أنَّ جُلَّ الإحالات والاستبدالات الواردة في القصيدة تحيل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم– وهذا ما سنتناوله في المحاور الآتية:

المحور الثاني: السياق وأثره في تشكيل النص:

يعدُّ السياق العمدة في إنتاج النص وفي فهمه. فالمتكلم لا يستطيع أن ينتج نصّاً إلا إذا توافرت الشروط الخارجية والنفسية لإنتاجه، ولا يتلقى هذا النص تلقياً مدركاً إلا إذا كان المتلقي على علمٍ كافٍ بهذه الظروف التي صنعت هذا النص (1) .

ويعرضُ الباحثُ نصَّ "المدائح النبوية" في سياقه ودوره في الفهم والتفسير وبُعْدَه في انسجام النص، من خلال ما يأتي:

أولاً: المتكلم (المرسل):

"هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق الهدف منه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماد استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنياً والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة"[(2)].

وبناءً عليه فإنَّ صاحب هذه القصيدة هو الشاعر "أحمد شوقي"، الذي عايش مرحلة ضعف الأمة، فبدأ يشيد بتاريخها العظيم ومنجزاتها الحضارية. كما أشاد بمعارك العثمانيين ضد اليونان وهذا ما جاء بعد قصيدة "المدائح النبوية" مباشرة في قصيدته "صدى الحرب" كما أنه قال في قصيدة موالية مباشرة تحت عنوان "أبوه أمير المؤمنين" فمن خلال هذا الترتيب كما ورد في "ديوانه" فإنَّ الشاعر كان أكثر اهتماماً بشؤون الأمة، بانتصاراتها وهزائمها، وخاصة إنَّه كان يعتقد أنَّ الأمة واحدة موحدة وقصيدة "أبوه أمير المؤمنين "دليل على ذلك.

ويتمظهر المرسل في القصيدة كذات تتخفى وراء اللغة وبالتالي تراه يوظّف الألفاظ والمفردات الدينية التي لها تأثير على المتلقي والتي تحمل الكثير من المعاني والدلالات: "ولد الهدى"، "يا خير من جاء الوجود"، "الذكر آية ربك"، "يا أيها المسرى، "أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة"، "ظلموا شريعتك التي نلنا بها".

---

(1) للمزيد ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، 2006، ص305.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ط1، بنغازي: دار الكتب الوطنية، 2005م، ص45.

إنّ الشاعر هو المرسل ومن خلال هذه القصيدة يتطلع إلى صناعة أنموذج إنساني يحمل كل مقومات القيادة، وخاصة أن النص أُنْشِيء في مرحلة ضعف تمر بها الأمة أي بداية القرن العشرين لتنتشل القوم الضعاف من هذه الأزمة.

ثانياً: الرسالة:

إنَّ القصيدة باعتبارها خطاباً يوجه من مرسِل إلى مرسَل إليه، " ولكي تتحقق السيرورة اللسانية ويحقق التحادث فعاليته لا بُدّ من وجود اتصال يمثل قناة طبيعية وارتباطاً نفسياً بين المرسِل والمرسَل إليه، هذا الاتصال الذي يسمح ببث الخطاب وإبقائه متواصلاً " (1)، وقصيدة "المدائح النبوية" تملك من المقومات اللغوية والدلالية والتداولية ما يجعلها رسالة حيَّة تتوفر على إحداث عملية التواصل، وخاصة أنها تتناول موضوعاً من أنبل المواضيع التي تجعل من القارئ شغوفاً في الاطلاع عليه وهو "الرسول– صلى الله عليه وسلم–.

فالقصيدة تشتمل على (131) بيتاً موزعةً على سبعة مقاطع وكل موضوع يؤدي غرضاً خطابياً يقصده المرسل، وتخللت المقاطع توظيف الألفاظ والمفردات الدينية حتى ينسجم الموضوع مع سياقه الثقافي والحضاري، ونجد ذلك في:

12. أورد الشاعر ألفاظاً ومفرداتٍ دينية عامة، مثل: الرسل، النبيين، الذكر، التوحيد، الدين، الخلافة، شورى، الزكاة، الحق، الإيمان، الشريعة.
13. ذكر أسماء الأنبياء والرسل ومن اتصل بهم من المقربين الذين سبقوا الرسول – صلى الله عليه وسلم–، حتى يكون امتداداً لهم، فقد ذكرت القصيدة آدم، وحواء، والخليل، والمسيح، والعذراء.

زاوجت القصيدة بين عالم الغيب وعالم الشهادة في حياة الرسول– صلى الله عليه وسلم، وتمثل القول في عالم الغيب في المقطع الأول:

الروح والملأُ والملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي ... والمنتهى والدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربى ... بالترجمان، شذيّة، غنّاء

(1) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، د. ط، دار الأمل للطباعة والنشر، دون مكان النشر، 2005م.

أما القول في عالم الشهادة فقد جاء في معظم القصيدة ونأخذ أمثلة على ذلك:

يـا أيهـا الأمـي حسـبـك رتبـه ... في العلم أن دانـت بـك العلمـاء
صـدر البيـان لـه إذا التقت اللغى ... وتـقـدّم الـبـلـغـاء والـفصـحـاء

إنّ قصيدة "المدائح النبوية" على الرغم من تنوّع موضوعاتها إلاّ أنها بقيت متماسكة لتكون تلك الموضوعات كمتتاليات تصب في موضوع واحد وهو مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

ثالثاً: المرسل إليه:

"هو الطرف الآخر الذي يوّجه إليه المرسل خطابه عمداً ... والمرسَل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضوراً عينياً أم استحضاراً ذهنياً، وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يهم في حركة الخطاب (1)، ومن خلال هذا التعريف فمن يكون المتلقي في هذا الخطاب الشعري؟ ولمن هو موجه أساساً: يقول أحمد شوقي:

مـا جئـت بـابـك مـادحـاً، بـل داعيـاً ... ومـن الـمـديـح تضـرع ودعـاء
أدعوك عن قومي الضـعاف لأزمةٍ ... في مـثـلـهـا يـلـقـى عـلـيـك رجـاء
ورقـدوا، وغـرّهـم نـعـيـم بـاطـل ... ونـعـيـم قـوم فـي الـقـيـود بـلاء

تبين من خلال الأبيات أعلاه أنَّ الشاعر يوجه خطابه إلى الأمة بمجموعها، حكاماً وعلماء ومثقفين وعامة وخاصة، على أنَّ الكل غافل وعليه أن يستيقظ ليقوم بدوره في بعث الحضارة من جديد كما كانت، ونراه يقول:

مَشَـتِ الحَضـارَةُ في سَـناها وَاهتَدى ... في الـدينِ وَالـدُنيـا بِهـا السُـعَـداءُ

فحاول الشاعر إرسال رسالته في هذا الخطاب وعلى المرسل إليه أن يستقبل موضوع الرسالة من أي زاوية شاء، فإذا كان حاكماً فعليه أن يكون مثل رسول الله في العدل والخلافة، وإذا كان عالماً فعليه أن يكون فقيهاً وبليغاً وفصيحاً مثله، وإذا كان قائداً فعليه أن يكون مثله كذلك، وإذا كان رجلاً بسيطاً فعليه أن يكون ذا أخلاق حميدة.

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 48.

لقد صنعت القصيدة متلقين متعددين، وذلك حسب مكانتهم الاجتماعية، ودرجة وعيهم ودورهم في النهوض بالأمة.

رابعاً: الزمان والمكان:

بالنسبة للزمان في أوائل القرن العشرين؛لأنها جاءت مرتبة قبل قصيدة "أبوه أمير المؤمنين" في مدح السلطان عبد الحميد الذي حكم في سنة 1909م، أما مكان القصيدة فقد كتبت في مصر، بحكم أنها موطن الشاعر، وأنها كانت تعيش في مرحلة من الضعف والوهن، وعليه جاءت إشارة الشاعر إلى ذلك.

ظَلَموا شَـــريعَتَـكَ الَّتي نِلنـا بِهـا مـا لَم يَنَـل في رومَـة الفُقَهـاءُ

فكلما تكررت الظروف نفسها – والظروف هي الآن نفسها – ما زالت القصيدة هي القول الفصل في خطابها تجاه من تخلوا ورقدوا في النعيم الباطل بعيدين عن العزة الإسلامية. فالقصيدة تنطلق من الماضي المجيد الزاهر لا أن تتجاوز الحاضر المهزوم وإنما لتبعث فيه الحياة وتزيل عنه التيه فهي تبعث الماضي وتشن حرباً على الحاضر وهو ما يتلاءم مع موضوع القصيدة: مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم.

المحور الثالث: الإحالة الضميرية ودورها في تماسك النص:

تسهم ظاهرة الإحالة الضميرية في عملية ربط التراكيب والأجزاء المتباعدة في جسم النصّ ربطاً محكماً؛ مما يضمن تحقيق مبدأ التماسك النصي الذي هو عماد الوحدة النصية ويعد النظام الإحالي في النصوص مبدأ تعويضياً شديد الارتباط بذهن مستعمل اللغة (1)؛ لذا فهو موجه بفعل الخطاب وتوجهاته المختلفة.

ويضم محور "المدائح النبوية" مجموعة من الروابط الإحالية التي تربط التراكيب بعضها ببعض داخل البيت الشعري الواحد، وتربط الأبيات بعضها ببعض داخل المحور، ويظهر من خلال التحليل أنَّ أثر العناصر الإحالية من خلال النص الشعري أكثر من النص النثري؛ ويعود هذا إلى أنَّ النصّ

(1) ينظر: الزناد الأزهر، نسيج النص "بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً"، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993م. ص 121.

الشعري يتمتع بخاصية التكثيف، وطبيعة العمل الإحالي أساساً قائمة على مبدأ تحقيق الاقتصاد اللغوي" إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها "(1).

تقتضي منهجية التحليل المتبعة في هذا البحث تحليل أثر الأداء الإحالي في عملية الربط من وجهة نظر متكاملة، تأخذ بعين الاعتبار العنصر الإحالي المحيل والمحال إليه.

فقد جاء الربط عن طريق الإحالة الضميرية القبلية والبعدية والمرتبط فيها بموضوع رئيس محال إليه وهو الرسول –صلى الله عليه وسلم– (108 حالة). فالعناصر الإحالية المرتبطة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – جاءت متنوعة ومختلفة ساهمت في اتساق النص، بحيث ربطت الأبنية النصية بموضوعها، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الآتي:

المحال عليه	العنصر المحيل	المحال إليه
الرسول–صلى الله عليه وسلم–	الضمير الغائب (الهاء)	– حوله – به – عليه – فضله – رجائه – بقصده – يعرفه – له – أعطته – أيها – حكمه – قوسه – يمينه – سيفه – سيفه – خيله – له

(1) المرجع نفسه، ص 121.

المحال عليه	العنصر المحيل	المحال إليه
		– وحده – له – لوائه – حياله
الرسول–صلى الله عليه وسلم–	الضمير الغائب (هو)	– مفظر (هو) – يستسقي (هو) – نال (هو) – وجد (هو) – مشى (هو) – ذكر (هو) – رمى (هو) – ساقي (هو) – مطعم (هو) – دعا (هو)
الرسول–صلى الله عليه وسلم–	ضمائر المخاطب	– بك – بيتك – إليك – محياك – تقيم – زانتك – منك – سخوت – بلغت – فصلت – عفوت – بعفوك – رحمت – أنت

المحال عليه	العنصر المحيل	المحال إليه
		– غضبت – رضيت – خطبت – قضيت – حميت – أجزت – فأنت – ملكت – قمت – يداك – بنيت – أبتنيت – دونك – صحبت – بردك – أخذت – عهدك – مشيت – جريت – انك – حكمك – بعرضك – سطاك – نداك – حسبك – بك – ربك – كأنك

المحال عليه	العنصر المحيل	المحال إليه
		– جلالك – إليك – حديثك – بك – منك – إليك – أتيت – رسمت – لديك – عندك – أنصفت – تنال (انت) – أنت – سموت – عليك – تغشى – طويت – قلدتك – أنت، أنت، أنت – لذاتك – تحتك – لغيرك – ترمي – ذقت – عليك – مديحك – فيك – قبلت

المحال عليه	العنصر المحيل	المحال إليه
		– أنت – أنت – شريعتك – عليك – آلك – إليك

مناقشة وتحليل:

نستنتج من الجدول أنَّ الخطاب الشعري وظَّف ضمائر الغائب والمخاطب اللذين يحيلان إلى الموضوع الرئيس، وهو شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم–. فقد وردت الضمائر الإحالية الدالة على الغائب (31 حالة) ما بين "الهاء" والضمير" هو" كما وظَّف الضمير المخاطب بأنواعه فوردت (77 حالة)، فأسهم هذا التنوع الإحالي في ترابط النص وانسجامه وبالإضافة إلى تنوع العناصر الإحالية في الخطاب، تنوعت قيمة دلالة هذه العناصر، فجاءت الضمائر الإحالية الدالة على الغائب قليلة مقارنة بالضمائر الإحالية الدالة على المخاطب.

وتمازجت الإحالة الضميرية المحيلة إلى الموضوع بين ضمائر الغائب وضمائر المخاطب في القصيدة لكي تعطي للنص نسيجاً متراصاً، وترابطاً متماسكاً، وهذا الترابط المتنوع بدا عبر مساحة القصيدة كلها.

المقطع الأول:

العناصر الإحالية الضميرية التي تحيل إلى الموضوع وردت (إحالتين)؛ لأنَّ الخطاب الشعري اعتمد على وسائل ربط أخرى كالواو، جاء في البيت:

الـروحُ وَالـمَـلَأُ الـمَـلائِـكُ حَـولَـهُ لِـلـديـنِ وَالـدُنـيـا بِـهِ بُشَـــراءُ

المقطع الثاني:

العناصر الإحالية الضميرية التي تحيل إلى الموضوع وردت ضمائر المخاطب بكثرة وقليل من ضمائر الغائب، ونورد بعض النماذج مرتبة حسب موقعها في الجمل الشعرية.

بك – لك – إليك – بيتك – بك – محياك – فضله – برجائه – بقصده – يعرفه – تقم (أنت) – زانتك – أنت – سخوت – بلغت – عفوت – رحمت – غضبت – رضيت – رحمت – غضبت – خطبت – قضيت – حميت .

المقطع اعتمد أساساً على ضمائر المخاطب المحيلة إلى الموضوع؛ لأنَّ الشاعر في حالة تبيان للشخصية التي يريد إظهارها للأمة لكي تتخذه نموذجاً، فهو في هذا المقطع يصف الرسول– صلى الله عليه وسلم–، وبالتالي فإن الضمير المحيل الملائم هو المخاطب.

المقطع الثالث:

العناصر الإحالية الضميرية التي تحيل إلى الموضوع جاءت قليلة وانحصرت أساساً كذلك في الضمير المخاطب (ك): حسبك – بك – كأنك – إليك – حديثك؛ لأنَّ الموضوع اعتمد على هذه الإحالات كأساس ليرتبط بمواضيع جزئية تعتمد على ضمائر إحالية خاصة بها كموضوع علاقة القرآن بالتوراة والإنجيل.

فجاءت الإحالات:

نُسِـــخَت بِهِ التَوراةُ وَهيَ وَضـــيئَةٌ وَتَـخَـلَّـفَ الإنـجـيـلُ وَهـوَ ذُكـاءُ

وعلاقة الموضوع بالإسلام.

ديـنٌ يُشَـــيَّـدُ آيَـةً فـي آيَـةٍ لَـبِـنـاتُـهُ الســـوراتُ وَالأَضـــواءُ
الحَقُّ فيـهِ هُوَ الأَســـاسُ وَكَيفَ لا وَاللهُ جَـلَّ جَـلالُـهُ الـبَـنّـاءُ

المقطع الرابع:

وردت في المقطع الرابع العناصر الإحالية الضميرية التي تحيل إلى الموضوع الرئيسي، وهي ضمائر المخاطب خالصة لتؤكد صفات الرسول –صلى الله عليه وسلم – من عدل وشورى وخلق رفيع.

بِكَ يا ابنَ عَبدِ اللهِ قامَت سَـــمحَةٌ بِـالـحَـقِّ مِـن مَـلَـلِ الـهُـدى غَـرّاءُ
فَرَسَـــمـتَ بَعـدَكَ لِلعِبـادِ حُكومَـة لا ســـوقَـةٌ فـيـهـا وَلا أُمَـراءُ

أَنصَـــفتَ أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى فَـالكُـلُّ فـي حَقِّ الحَيـاةِ سَـــواءُ

كما ارتبطت ضمائر إحالية أخرى تُحيل إلى مواضيع جزئية لها علاقة بالموضوع الرئيس كما هو الحال في الأبيات الآتية:

داوَيـتَ مُـتَّـئِـدًا وَداوَوا ظَـفـرَةً وَأَخَـفُّ مِـن بَـعـضِ الـدَواءِ الـداءُ
جـاءَت فَوَحَّـدَتِ الزَكـاةُ سَـــبيلَـهُ حَـتّـى الـتَقـى الـكُرَمـاءُ وَالبُـخَـلاءُ

فهذا التنويع في الظواهر الإحالية عاملاً أساسياً في ترابط النص وانسجامه ممّا أدى إلى تجنب التكرار وضمن للنص توازنه.

المقطع الخامس:

نجد أنفسنا فيه أمام عناصر إحالية لا تختلف عما سبق ذكره، فاعتمد على الضمير المخاطب، إلا أنَّ الميزة في بعض هذه الضمائر أنها منفصلة، ورد الضمير أنت (4 حالات)؛ لتؤكد على المحيل إليه وهو الرسول–صلى الله عليه وسلم–، على أنه بؤرة الخطاب الشعري وأنه مستمر عبر مساحة النص باستخدام هذه الوسائل الترابطية، والتي تمسك بخيط الموضوع في القصيدة.

المقطع السادس:

إذا تتبعنا أبيات المقطع السادس، نجد الظواهر الإحالية التي وظفت في الخطاب الشعري والتي تحيل إلى الموضوع قد اقتصرت على ضمائر الغائب؛ لأنَّ الشاعر في حالة وصف وسرد فمثلاً: ذكر (هو)، تصدى (هو)، رمى (هو)، ساقي (هو)، مطعم (هو).

كما وردت عناصر إحالية لها علاقة بموضوع جزئي له ارتباط بالموضوع الرئيس وهذه الضمائر هي: ضربوا (هم)، ذهبت (بها)، دعموا (هم)، وهي ضمائر تشير إلى وصف أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فجاءت بصيغة الغائب، هذه الضمائر الإحالية وردت لتسهم في ترابط أبيات هذا المقطع وتماسكها فخرج الشاعر بين الوصف والسرد، فوظف السرد في الحديث عن الرسول وشجاعته وقدرته في القتال، وصفاته الحسنة في الحرب، ووظف الوصف في الحديث عن الرسول وأصحابه: كم من غزاة، ضربوا الضلالة...

المقطع السابع:

استعمل في المقطع السابع الضمائر الإحالية التي تحيل إلى الموضوع الرئيسي ضمائر الغائب والمخاطب فمثلا: دعا (هو)، وحده، هو، أنت، والحوض أنت، تروي (أنت)، تسقى (أنت)، قبلت، ما بك.

هذا المزج بين الضمائر الإحالية المرتبطة بالموضوع الرئيس أدى إلى تماسك المقطع الشعري بفضل شبكة متنوعة الإحالة التي وردت ظاهرة ومضمرة جعلت وحدات المقطع متعالقة فيما بينها، بالإضافة إلى تنوع قيمة ودلالة هذه العناصر الإحالية إذ تعدى هذا الخطاب الشعري الوصف والتفسير والسرد.

كما أنّ هناك عناصر إحالية لمواضيع جزئية مرتبطة بالموضوع الرئيس، إذ تلعب دوراً هاماً في تماسك المقطع وترابطه، وتجعل من الأبنية النصية ذات قاعدة متينة ومنسجمة، ونذكر بعض الإحالات: رقدوا (هم)، نسفوا (هم) يمشون (هم)، أطرافها، أدعوك.

ويتضح من خلال تتبعنا للعلاقات الإحالية التي وظفت في القصيدة أنَّ جلها مرتبط بالموضوع الرئيسي وهو الرسول–صلى الله عليه وسلم –، وأنها كانت متنوعة ما بين الغياب والمخاطب ممّا نتج عنها تماسك في الخطاب واتساق بين أبنيته النصية، وأن العلاقات الإحالية الأخرى لها علاقة بمواضيع جزئية تساهم في ربطها بموضوع النص.

المحور الرابع: الاستبدال ودوره في ترابط النص:

يُعرِّف هاليداي أنّه "عملية تتم داخل النص، وهو يتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات" (1)، ويستخلص من كونه عملية داخل النص أنه صورة من صور الترابط النصي على "أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية "(2)، أي علاقة بين عنصر متقدم، وعنصر متأخر، فهو يعد مصدراً أساسياً من مصادر اتساق النصوص.

فقد وظف الشاعر في قصيدته "المدائح النبوية" عمليات الاستبدال مبيناً تأثيرها في ترابط النص ويتضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19، وينظر، أحمد عفيفي، نحو النص، "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، ط1، مكتبة زهراء الشرق، 1997م، ص 123.

(2) المرجع نفسه، ص 19.

عمليات الاستبدال	العنصر المستبدل
الهدى	النبي
يا خير من جاء الوجود	النبي
محمد اليتيم	النبي
الأمي	النبي
ابن عبد الله	النبي
المسرى	النبي
أحمد	النبي
شيخ الفوارس	النبي
رسول	النبي
يا من له الشفاعة/ ساقي	النبي
الجريح، مطعم الأسرى	النبي
رسول الله	النبي
اسم الجلالة	الله
الهادي	الله
الكريم	الله
ربّ	الله

مناقشة وتحليل:

برزت عمليات الاستبدال في النص الشعري ذات العلاقة بالموضوع الرئيسي "الرسول –صلى الله عليه وسلم"، فقد ذكر اسم النبي بالكلمات الآتية: الهُدى، يا خير، من جاء الوجود، أحمد، الأمي....، ودلالة ذلك أن هذا التوظيف النوعي لاسم النبي يبرز الخصال والصفات والأدوار التي قام بها النبي فذكر مثلاً اسم "الهدى" الذي يعبر عن ما يحمله الرسول –صلى الله عليه وسلم– من

رسالة ربانية للبشرية، وكذلك كلمة "اليتيم" التي تدل على مرحلة الصغر التي قضاها، وما نتج عنها من صفات كالذكاء وكذلك تعبير، يا خير من جاء إلى الوجود، يا من له الشفاعة وغيرها.

فالشاعر في هذا النص بدلا من أن يكرر لفظة النبي– صلى الله عليه وسلم– مرات عدة وظّف الكثير من العمليات الاستبدالية لتعويض تلك الكلمة، ولكن هذا التعويض لم يخل بالمعنى العام لها.

وكذلك لفظ الجلالة "الله" ورد بألفاظ أخرى كالكريم والهادي واسم الجلالة، ولكن عمليات الاستبدال فيه قليلة؛ لأنّ الموضوع يتناول الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فقد شكلت الظواهر الاستبدالية شبكة متناسقة؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى اتساق النص.

المحور الخامس: الحذف ودوره في ترابط النص:

الحذف هو: علاقة داخل النص، بحيث يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية" (1)، أي أنَّ العنصر المحذوف يشكل علامة دلالية مع العنصر السابق تحدث اتساقاً ما بين أجزاء النص. ففي لسانيات النص يعتمد الحذف على السياق والمقام حيث تكون الجمل المحذوفة أساساً للربط بين المتتاليات النصية من خلال المحتوى الدلالي، " فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن أي الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم بياناً إذا لم تبن" (2)، فوجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النص والموقف، ويستطيع القارئ أن يتلمس المعاني التأويلية الصحيحة للنص معتمداً على السياق اللغوي.

فقد وظف الشاعر ظاهرة الحذف في الخطاب الشعري " المدائح النبوية" في كثير من الحالات وترك حرية التأويل، ويمكن توضيح بعض النماذج، حيث جاء في قوله.

بِـكَ بَشَّـــرَ اللهُ السَـــمـاءَ فَزَيَّنَـت ... وَتَضَـــوَّعَـت مِســـكًـا بِـكَ الغَبراءُ
ذُعِرَت عُروشُ الظـالِمينَ فَزُلزِلَـت ... وَعَلَـت عَلى تيجـانِهِم أَصـــداءُ

(1) محمد خطابي، لسانيات النص ص 20.

(2) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: (محمود محمد شاكر)، ط3، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني،، 1992م، ص 146.

فالشاعر في هذين البيتين حذف الفاعل: ففي البيت الأول حذفت "السماء" فنستطيع أن نحوّل الجملة إلى: فزينت السماء و "تضوعت السماء". وفي البيت الثاني حذف الفاعل الضمير" أنت " الدال على الرسول– صلى الله عليه وسلم–، فنحول البيت إلى "ذعرت أنت عروشَ الظالمين".

وقوله أيضاً:

لَو لَم تُقِم دينًا لَقامَت وَحدَها دنيًا تُضيءُ بِنورِهِ الآناءُ

فقد حذف الفاعل وهو "الرسول –صلى الله عليه وسلم –"، بقصد حضوره في نفسية وعقل القارئ، لكي يستلهم ما يشاء من القيم والأخلاق التي كان يدعو إليها الرسول–صلى الله عليه وسلم، فالحذف الذي طال الأبيات السابقة كان كذلك بغرض الاختصار والاقتصاد وعدم التكرار.

المحور السادس: الوصل ودوره في ترابط النص:

يُعرّفه هاليداي بأنّه: "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[1].

وظف الشاعر في النص الشعري أدوات الربط والتي تتمثل فيما يأتي:

- أنَّ الربط بين عناصر نفس الجملة أو في الجمل تم بالواو (155) حالة.
- أن الربط بين عناصر الجملة وبين الجمل ثم بالفاء (53) حالة.
- أن الربط بين عناصر الجملة تم بـ " أو" (4) حالات.

فساهم استعمالها بفعالية في بناء عناصر النص بناءاً متماسكاً، ويظهر ذلك من خلال ربط العناصر ببعضها البعض مما أدى إلى تشكيل شبكة ممتدة الأجزاء.

"ولأنَّ وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة، فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص" (2) ويمكن توضيح ذلك من خلال بعض النماذج الواردة في الخطاب الشعري.

وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي وَالمُنتَهى وَالسِدرَةُ العَصماءُ

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23.

(2) المرجع نفسه، ص 24.

اعتمد الشاعر في هذا البيت على الواو بغرض البناء وجعل التركيب متماسك، ومن أمثلة الفاء أيضاً:

وُلِدَ الهُدى، فَالكائِناتُ ضِياءُ وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ
بِكَ بَشَّرَ اللهُ السَماءَ فَزُيِّنَت وَتَضَوَّعَت مِسكًا بِكَ الغَبراءُ

وهناك أدوات أخرى للوصل قد وظفت مثل "بل" و"ثم" لكنها وردت قليلة.

المحور السابع: الاتساق المعجمي ودوره في اتساق النص:

يشكل الاتساق المعجمي مظهراً من مظاهر اتساق النص، إذ يتخذ وسائل أخرى غير الوسائل النحوية، ففيه تتحدد الكلمات المتشابهة أو المرادفة في النص ويتخذ الأشكال الآتية:

1-التكرار:

"وهو شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي " (1)، ويتمظهر التكرار في النص الشعري بشكلين.

أولاً: التكرار التام: وهو إعادة اللفظة نفسها بمرجع واحد، أو تتعدد المراجع (2) ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الآتي:

التكرار	عدد التكرار
الله	4
الهدى	3
اللوح	2
محمد	3
الحق	3
الدين	4
ملكت	2

(1) أحمد عفيفي، نحو النص ص 106.

(2) ينظر: روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: "تمام حسان"، ط1، عالم الكتب، 1998م، 304.

نفس	2
الدواء	2
الداء	2
نعيم	2
الصدق	2
آية	3
دماء	2

ثانياً التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة "(1)

التكرار الجزئي	رقم البيت
العظائم/ العظماء	12
خلقت / مخلوق	12
النبيين / النبوه	15/9
فعلت/ تفعل	30
قادراً / مقدراً	31
عفوت/ بعفوك	31
رحمت/ الرحماء	32
غضبت / غضبة	33
رضيت/ مرضاته	34
أجرت / المستجير	38
بنيت / ابتنيت	40
صحبت/ الأصحاب	41
العهد/ عهدت	42
حسدوا/ الحسود	53
الهادي/ الهدى	54
نال/ تنل	54
سلافته/ السلاف	63

(1) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 106

منّه / ممنونة	79
رمى/ ترمى	95
ضربوا/ ضربة	104
	104
	95
	116
	109
	112
	114
	122

مناقشة وتحليل:

إنَّ الناظر في القصيدة يستنتج أنَّ التكرار يشكل ظاهرة لغوية في قصيدة "المدائح النبوية"، إذ إنّه يساهم في اتساق النص وترابطه، فقد حشد أحمد شوقي لموضوعه زخماً من المفردات التي انتقاها من المعجم الديني، والتي كانت له أدوات لغوية ساهمت في بناء القصيدة إلا أن دراسة الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي، بل من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف والتأكيد والتقرير والإثبات، التي قامت على تحقيق التماسك في مستوى القصيدة سواء على مستوى المعنى أو الشكل، إذ باتت الألفاظ المتكررة كثيرة لازمة ضرورية لها شديد الأثر في بنية النص بحيث تتحكم مباشرة في نسيج الدلالات الخاصة للقصيدة.

2- التضام: يُعد التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي وهو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك (1)، فقد يتخذ شكل التضاد أو التنافر أو علاقة الجزء بالكل كاليد والجسم (2).

يمكن توضيح هذه الظاهرة في الجدول الآتي:

التضام	الأبيات الشعرية
النار/ الماء	20
رواح/ غدّاء	21

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 25.

(2) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص 113.

أخذت/ أعطيت	42
مشيت/ جريت	43
الدواء/ الداء	77
الكرماء/ البخلاء	80
الفقر/ الغنى	81
	104
	105
	128

مناقشة وتحليل:

إنّ العلاقات المعجمية كعلاقة التضام تساهم في اتساق النص، ولهذا تضع مثل هذه العلاقات تماسكاً نصياً بدلالاتها المتناقضة، ففي البيت مثلاً (21) لفظ (رواح) مرتبطة بالملك جبريل عليه السلام، كما أن لفظ (غدّاء) كذلك، فمهمة جبريل في تبليغ الوحي إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– تقتضي اللفظين وهما رواح وغدّاء.

كما أنّ لفظي (أخذت/ أعطيت) ترتبط بالعهد الذي يلتزم به الرسول، فالعهود تؤخذ وتعطى لكي تتحقق صفة "العهد" فاللفظان مجاوران للفظة "العهد" فهما يحققان المعنى والاتساق المعجمي.

أمَّا البيت (77): فلفظا (الدواء/ الداء) مرتبطان معنىً، كما أنهما يؤديان اتساقاً معجمياً عن طريق علاقة التضاد، فالداء ناتج بسبب الداء.

الخاتمة:

إنّ البحث في نحو النص اتجاه لغوي يُعنى بوصف البنية الكلية والجزئية للنص، ويحلله ويقف عند العلاقات اللغوية، ودراسة ترابطها مع بعضها البعض، ومدى انسجام هذه العلاقات المكونة للنص، فالتحليل اللغوي هو منهج للوقوف على التراكيب النحوية للنص كله، وتحديد بناه السطحية والعميقة، واستجلاء القيمة الدلالية التي أدت إلى تماسك النص من خلال التحليل الدلالي له.

النتائج:

درس البحث قصيدة المدائح النبوية دراسة وتحليل في نحو النص وخرج بالنتائج الآتية:

- أولاً: كان الشاعر في عملية بناء النص الشعري يسعى إلى جعل نصّه منسجماً المحاور، وذلك بتوفير عناصر الربط التركيبية التي مكنتنا من إدراك العلاقات القائمة بين الجمل والعبارات المكونة للنص.
- ثانياً: أبدع الشاعر في تنويع العلاقات ما بين أدوات نحوية كالإحالة الضميرية، والاستبدال، وأخرى معجمية كالتكرار والتضام.
- ثالثاً: تبين من خلال دراستنا أن الترابط النصي للقصيدة كشف عن تنوع أدوات الاتساق وخاصة حضور الإحالة الضميرية القبلية في النص الشعري، فكان متواتراً بكثرة والتي تحيل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فقد تنوعت الضمائر المحيلة بين ضمائر الغائب وضمائر المخاطب، التي ساهمت في بناء النص وتماسكه، وقدرتها على التبليغ دلالياً وتداولياً.
- رابعاً: غلب على القصيدة المفردات والألفاظ الدينية التي وظّفها الشاعر بكثرة بقصد التأثير العاطفي في المخاطب، وجلب انتباهه إلى ما هو أعز عنده من مثل: الهدى، والروح، والملائكة، والوحي، وآدم وحواء، والخليل، والمسيح، والمسرى، وغير ذلك من الألفاظ التي أوردها.

التوصيات:

أما التوصيات التي خرج بها الباحث في هذه الدراسة، فكانت على النحو الآتي:

1. يوصي الباحث بضرورة استقراء الدواوين الشعرية ودراستها وتحليلها وفق معايير نحو النص.
2. ضرورة دراسة الإحالة الضميرية، والاستبدال، والتكرار، والتضام، وأهمية ذلك في سبك المعنى وتماسكه في القرآن الكريم والحديث الشريف.
3. تحليل الخطاب القرآني بأنواعه دراسة في نحو النص.

المصادر والمراجع

1.شوقي، ديوان أحمد شوقي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، بيروت، 2002م.

2.الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق (محمود محمد شاكر)، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، 1992م.

3.أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي" الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م.

4.الأزهر الزناد، نسيج النص" بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً "الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م.

5.ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، د.ط، دار الأمل للطباعة والنشر، دون مكان للنشر، 2005م.

6.عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 2004م.

7. عثمان أبو زنيد، نحو النص "إطار نظري ودراسات تطبيقية "الطبعة الأولى عالم الكتب الحديث، اربد، 1431هـ – 2010م.

8. فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

محمد خطابي، لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م.

المراجع المترجمة:

1.دومنيك مونقانو، المصطلحات "المفاتيح لتحليل الخطاب" ترجمة" محمد تحياتن" الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، 2005م.

2.روبرت ودي بوجران، النص والخطاب والإجراء، ترجمة "تمام حسان " الطبعة الأولى،عالم الكتب 1998م.

الملاحق:

نص القصيده

المقطع الأول:

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ ... وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ
الرُّوحُ وَالمَلَأُ المَلائِكُ حَولَهُ ... لِلدّينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ
وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي ... وَالمُنتَهى، وَالسِدرَةُ العَصماءُ
وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرُبا ... بِالتُرجُمانِ، شَذِيَّةٌ، غَنّاءُ
وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلًا مِن سَلسَلٍ ... وَاللَوحُ وَالقَلَمُ البَديعُ رُواءُ
نُظِمَت أَسامي الرُسلِ فَهيَ صَحيفَةٌ ... في اللَوحِ، وَاسمُ مُحَمَّدٍ طُغَراءُ
اسمُ الجَلالَةِ في بَديعِ حُروفِهِ ... أَلِفٌ هُنالِكَ وَاسمُ طَهَ الباءُ

المقطع الثاني:

يا خَيرَ مَن جاءَ الوُجودَ، تَحِيَّةً ... مِن مُرسَلينَ إِلى الهُدى بِكَ جاؤوا
بَيتُ النَبِيّينَ الَّذي لا يَلتَقي ... إِلّا الحَنائِفُ فيهِ وَالحُنَفاءُ
خَيرُ الأُبُوَّةِ حازَهُم لَكَ آدَمٌ ... دونَ الأَنامِ، وَأَحرَزَت حَوّاءُ
هُم أَدرَكوا عِزَّ النُبُوَّةِ وَانتَهَت ... فيها إِلَيكَ العِزَّةُ القَعساءُ
خُلِقَت لِبَيتِكَ، وَهوَ مَخلوقٌ لَها ... إِنَّ العَظائِمَ كُفؤُها العُظَماءُ
بِكَ بَشَّرَ اللهُ السَماءَ فَزُيِّنَت ... وَتَضَوَّعَت مِسكًا بِكَ الغَبراءُ
وَبَدا مُحَيّاكَ الَّذي قَسَماتُهُ ... حَقٌّ، وَغُرَّتُهُ هُدىً وَحَياءُ
وَعَلَيهِ مِن نورِ النُبُوَّةِ رَونَقٌ ... وَمِنَ الخَليلِ وَهَديِهِ سِيماءُ
أَثنى المَسيحُ عَلَيهِ خَلفَ سَمائِهِ ... وَتَهَلَّلَت وَاهتَزَّتِ العَذراءُ
يَومٌ يَتيهُ عَلى الزَمانِ صَباحُهُ ... وَمَساؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضّاءُ
الحَقُّ عالي الرُكنِ فيهِ، مُظَفَّرٌ ... في المُلكِ، لا يَعلو عَلَيهِ لِواءُ
ذُعِرَت عُروشُ الظالِمينَ فَزُلزِلَت ... وَعَلَت عَلى تيجانِهِم أَصداءُ
وَالنارُ خاوِيَةُ الجَوانِبِ حَولَهُم ... خَمَدَت ذَوائِبُها وَغاضَ الماءُ
وَالآيُ تَترى، وَالخَوارِقُ جَمَّةٌ ... جِبريلُ رَوّاحٌ بِها غَدّاءُ
نِعمَ اليَتيمُ بَدَت مَخايِلُ فَضلِهِ ... وَالیُتمُ رِزقٌ بَعضُهُ وَذَكاءُ
في المَهدِ يُستَسقى الحَيا بِرَجائِهِ ... وَبِقَصدِهِ تُستَدفَعُ البَأساءُ

بِسِوى الأَمانَةِ في الصَّبا وَالصِدقِ لَم ... يَعرِفهُ أَهلُ الصِدقِ وَالأُمَناءُ
يا مَنْ لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُلا ... مِنها وَما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ
لَو لَم تُقِم دينًا، لَقامَت وَحدَها ... دينًا تُضيءُ بِنورِهِ الآناءُ
زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ ... يُغرى بِهِنَّ وَيولَعُ الكُرَماءُ
أَمّا الجَمالُ؛ فَأَنتَ شَمسُ سَمائِهِ ... وَمَلاحَةُ الصِدّيقِ مِنكَ أَياءُ
وَالحُسنُ مِن كَرَمِ الوُجوهِ وَخَيرُهُ ... ما أُوتِيَ القُوّادُ وَالزُعَماءُ
فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى ... وَفَعَلتَ ما لا تَفعَلُ الأَنواءُ
وَإِذا عَفَوتَ فَقادِرًا وَمُقَدَّرًا ... لا يَستَهينُ بِعَفوِكَ الجُهَلاءُ
وَإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ ... هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ
وَإِذا غَضِبتَ فَإِنَّما هِيَ غَضبَةٌ ... في الحَقِّ، لا ضِغنٌ وَلا بَغضاءُ
وَإِذا رَضيتَ فَذاكَ في مَرضاتِهِ ... وَرِضى الكَثيرِ تَحَلُّمٌ وَرِياءُ
وَإِذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ ... تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ
وَإِذا قَضَيتَ فَلا ارتِيابَ كَأَنَّما ... جاءَ الخُصومَ مِنَ السَماءِ قَضاءُ
وَإِذا حَمَيتَ الماءَ لَم يورَدْ، وَلَو ... أَنَّ القَياصِرَ وَالمُلوكَ ظِماءُ
وَإِذا أَجَرتَ فَأَنتَ بَيتُ اللهِ، لَم ... يَدخُل عَلَيهِ المُستَجيرَ عَداءُ
وَإِذا مَلَكتَ النَفسَ قُمتَ بِبِرِّها ... وَلَوَ أَنَّ ما مَلَكَت يَداكَ الشاءُ
وَإِذا بَنَيتَ فَخَيرُ زَوجٍ عِشرَةً ... وَإِذا ابتَنَيتَ فَدونَكَ الآباءُ
وَإِذا صَحِبتَ رَأى الوَفاءَ مُجَسَّمًا ... في بُردِكَ الأَصحابُ وَالخُلَطاءُ
وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ، أَو أَعطَيتَهُ ... فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ
وَإِذا مَشَيتَ إِلى العِدا فَغَضَنفَرٌ ... وَإِذا جَرَيتَ فَإِنَّكَ النَكباءُ
وَتَمُدُّ حِلمَكَ لِلسَفيهِ مُدارِيًا ... حَتّى يَضيقَ بِعَرضِكَ السُفَهاءُ
في كُلِّ نَفسٍ مِن سُطاكَ مَهابَةٌ ... وَلِكُلِّ نَفسٍ في نَداكَ رَجاءُ
وَالرَأيُ لَم يُنضَ المُهَنَّدُ دونَهُ ... كَالسَيفِ لَم تَضرِب بِهِ الآراءُ

المقطع الثالث:

يا أَيُّها الأُمِيُّ حَسبُكَ، رُتبَةً ... في العِلمِ أَن دانَت بِكَ العُلَماءُ
الذِكرُ آيَةُ رَبِّكَ الكُبرى الَّتي ... فيها لِباغي المُعجِزاتِ غَناءُ
صَدرُ البَيانِ لَهُ إِذا التَقَتِ اللُغى ... وَتَقَدَّمَ البُلَغاءُ وَالفُصَحاءُ
نُسِخَت بِهِ التَوراةُ وَهيَ وَضيئَةٌ ... وَتَخَلَّفَ الإِنجيلُ وَهوَ ذُكاءُ

لَمّا تَمَشّى في الحِجازِ حَكيمُهُ ... فُضَّت عُكاظُ بِهِ وَقامَ حِراءُ
أَزرى بِمَنطِقِ أَهلِهِ وَبَيانِهِمْ ... وَحيٌ يُقصِّرُ دونَهُ البُلَغاءُ
حَسَدوا، فَقالوا: شاعِرٌ أَو ساحِرٌ ... وَمِنَ الحَسودِ يَكونُ الاستِهزاءُ
قَد نالَ بِالهادي الكَريمِ وَبِالهُدى ... ما لَم تَنَل مِن سُؤدُدٍ سينا
أَمسى كَأَنَّكَ مِن جَلالِكَ أُمَّةٌ ... وَكَأَنَّهُ مِن أُنسِهِ بَيداءُ
يوحى إِلَيكَ الفَوزُ في ظُلُماتِهِ ... مُتَتابِعًا تُجلى بِهِ الظَلماءُ
دينٌ يُشَيَّدُ آيَةً في آيَةٍ ... لَبِناتُهُ السوراتُ وَالأَضواءُ
الحَقُّ فيهِ هُوَ الأَساسُ، وَكَيفَ لا ... وَاللهُ جَلَّ جَلالُهُ البَنّاءُ
أَمّا حَديثُكَ في العُقولِ فَمَشرَعٌ ... وَالعِلمُ وَالحِكَمُ الغَوالي الماءُ
هُوَ صِبغَةُ الفُرقانِ نَفحَةُ قُدسِهِ ... وَالسينُ مِن سَوراتِهِ وَالراءُ
جَرَتِ الفَصاحَةُ مِن يَنابيعِ النُهى ... مِن دَوحِهِ، وَتَفَجَّرَ الإِنشاءُ
في بَحرِهِ لِلسابِحينَ بِهِ عَلى ... أَدَبِ الحَياةِ وَعِلمِها إِرساءُ
أَتَتِ الدُهورُ عَلى سُلافَتِهِ وَلَم ... تَفنَ السُلافُ، وَلا سَلا النُدَماءُ

المقطع الرابع:

بِكَ يا ابنَ عَبدِ اللهِ قامَت سَمحَةٌ ... بِالحَقِّ مِن مَلَلِ الهُدى غَرّاءُ
بُنِيَت عَلى التَوحيدِ، وَهيَ حَقيقَةٌ ... نادى بِها سُقراطُ وَالقُدَماءُ
وَجَدَ الزُعافَ مِنَ السُمومِ لِأَجلِها ... كَالشَهدِ، ثُمَّ تَتابَعَ الشُهَداءُ
وَمَشى عَلى وَجهِ الزَمانِ بِنورِها ... كُهّانُ وادي النيلِ وَالعُرَفاءُ
إيزيسُ ذاتُ المُلكِ حينَ تَوَحَّدَت ... أَخَذَت قِوامَ أُمورِها الأَشياءُ
لَمّا دَعَوتَ الناسَ لَبّى عاقِلٌ ... وَأَصَمَّ مِنكَ الجاهِلينَ نِداءُ
أَبَوا الخُروجَ إِلَيكَ مِن أَوهامِهِمْ ... وَالناسُ في أَوهامِهِمْ سُجَناءُ
وَمِنَ العُقولِ جَداوِلٌ وَجَلامِدٌ ... وَمِنَ النُفوسِ حَرائِرٌ وَإِماءُ
داءُ الجماعةِ من أرسطا ليس لم ... يوصَف لَهُ حَتّى أَتَيتَ دَواءُ
فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً ... لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ
اللهُ فَوقَ الخَلقِ فيها وَحدَهُ ... وَالناسُ تَحتَ لِوائِها أَكفاءُ
وَالدّينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ ... وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ
الإِشتِراكِيّونَ أَنتَ إِمامُهُمْ ... لَولا دَعاوي القَومِ وَالغُلَواءُ
داوَيتَ مُتَّئِدًا وَداوَوا ظَفرَةً ... وَأَخَفُّ مِن بَعضِ الدَواءِ الداءُ

الحَربُ في حَقِّ لَـدَيـكَ شَـــريعَـةٌ ... وَمِـنَ السُّـــمومِ النـاقِـعـاتِ دَواءُ
وَالـبِـرُّ عِـنـدَكَ ذِمَّـةٌ وَفَـريضَـــةٌ ... لا مِـنَّـةٌ مَـمـنـونَـةٌ وَجَـبـاءُ
جـاءَت فَوَحَّـدَتِ الزَكـاةُ سَـــبيلَـهُ ... حَـتّـى الـتَـقـى الـكُـرَمـاءُ وَالـبُـخَـلاءُ
أَنصَـــفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى ... فَـالـكُـلُّ في حَقِّ الحَيـاةِ سَـــواءُ

المقطع الخامس:

فَـلَـوَ أَنَّ إِنســـانًـا تَـخَـيَّـرَ مِـلَّـةً ... مـا اخـتـارَ إِلّا ديـنَـكَ الـفُـقَـراءُ
يـأَيُّـهـا المُســرى بِـهِ شَـــرَفًـا إِلى ... مـا لا تَـنـالُ الشَـــمسُ وَالـجَوزاءُ
يَتَســـاءَلونَ، وَأَنـتَ أَطهَرُ هَيكَـلٍ ... بِـالـروحِ أَم بِـالـهَـيـكَـلِ الإِســـراءُ
بِهِمـا سَـــمَوتَ مُطَهَّرَينِ، كِلاهُمـا ... نـورٌ، وَرَيـحـانِـيَّـةٌ، وَبَـهـاءُ
فَضـــلٌ عَلَيكَ لِـذي الجَلالِ وَمِنَّـةٌ ... وَاللهُ يَـفـعَـلُ مـا يَـرى وَيَشـــاءُ
تَغشـــى الغُيوبَ مِنَ العَوالِمِ كُلَّمـا ... طُوِيَـت سَـــمـاءٌ قُلِّـدَتـكَ سَـــمـاءُ
في كُـلِّ مِنطَقَـةٍ حَواشـــي نورُهـا ... نـورٌ وَأَنـتَ الـنُـقـطَـةُ الـزَهـراءُ
أَنـتَ الجَمـالُ بِهـا وَأَنـتَ المُجتَلى ... وَالـكَـفُّ وَالـمِـرآةُ وَالـحَســـنـاءُ
اللهُ هَـيَّـأَ مِـن حَـظـيـرَةِ قُـدسِـــهِ ... نُـزُلًا لِـذاتِـكَ لَـم يَـجُـزهُ عَـلاءُ
الـعَـرشُ تَـحـتَـكَ سُـــدَّةً وَقَـوائِـمًـا ... وَمَـنـاكِـبُ الـروحِ الأَمـيـنِ وِطـاءُ
وَالرُّســـلُ دونَ العَرشِ لَم يُؤذَن لَهُمْ ... حـاشـــا لِـغَـيـرِكَ مَـوعِـدٌ وَلِـقـاءُ

المقطع السادس:

الخَيـلُ تَـأبى غَيرَ أَحمَـدَ حـامِيًـا ... وَبِـهـا إِذا ذُكِـرَ اســـمُـهُ خُـيَـلاءُ
شَـــيخُ الفَوارِسِ يَعلَمونَ مَكـانَـهُ ... إِن هَيَّجَـت آســـادَهـا الهَيجـاءُ
وَإِذا رَمـى عَـن قَـوسِـــهِ فَيَمـيـنُـهُ ... قَـدَرٌ وَمـا تُرمى اليَمينُ قَضـــاءُ
وَإِذا تَصَـــدّى لِـلـظُـبـا فَـمُـهَـنَّـدٌ ... أَو لِـلـرِمـاحِ فَصَـــعـدَةٌ سَـــمـراءُ
مِن كُـلِّ داعي الحَقِّ هِمَّـةُ سَـــيفِـهِ ... فَلِسَـــيفِهِ في الراسِـــياتِ مَضـــاءُ
ســاقي الجَريحِ وَمُطعِمُ الأَســرى وَمَن ... أَمِنَـتْ سَـــنـابِـكَ خَيلِـهِ الأَشـــلاءُ
إِنَّ الشَـــجـاعَـةَ في الرِجـالِ غَلاظَـةٌ ... مـا لَـم تَـزِنـهـا رَأفَـةٌ وَسَـــخـاءُ
وَالحَربُ مِن شَـرَفِ الشُـعوبِ فَإِن بَغَوا ... فَـالـمَـجـدُ مِـمّـا يَـدَّعـونَ بَـراءُ
وَالـحَـربُ يَـبـعَـثُـهـا الـقَـوِيُّ تَـجَـبُّـرًا ... وَيَـنـوءُ تَـحـتَ بَـلائِـهـا الضُـــعَـفـاءُ
كَـم مِـن غُـزاةٍ لِـلـرَســـولِ كَـريـمَـةٍ ... فـيـهـا رِضـــىً لِـلـحَـقِّ أَو إِعـلاءُ

كـانَـت لِجُنـدِ اللهِ فيهـا شِـــدَّةٌ ... فـي إثـرِهـا لِـلـعـالَـمـيـنَ رَخـاءُ
ضَــرَبوا الضَــلالَةَ ضَــربَةٌ ذَهَبَت بِها ... فَعَلى الجَهـالَـةِ وَالضَـــلالِ عَفـاءُ
دَعَموا عَلى الحَربِ السَـــلامَ وَطالَما ... حَقَنَـت دِمـاءً فـي الزَمـانِ دِمـاءُ

المقطع السابع:

الـحَـقُّ عِـرضُ اللهِ كـلُّ أَبِـيَّـةٍ ... بَـيـنَ الـنُـفـوسِ حِـمـىً لَـهُ وَوِقـارُ
هَـل كـانَ حَولَ مُحَمَّـدٍ مِن قَومِـهِ ... إِلا صَـــبِـيٌّ واحِـدٌ وَنِســـاءُ
فَـدَعـا فَلَبّى في القَبـائِلِ عُصـــبَـةٌ ... مُســـتَضـــعَفونَ قَلائِـلٌ أَنضـــاءُ
رَدّوا بِبَـأسِ العَزمِ عَنـهُ مِنَ الأَذى ... مـا لا تَرُدُّ الصَـــخرَةُ الصَـــمّـاءُ
وَالحَقُّ وَالإيمـانُ إِن صُـــبّـا عَلى ... بُـردٍ فَـفـيـهِ كَـتـيـبَـةٌ خَـرسـاءُ
نَسَـــفوا بِنـاءَ الشِـــركِ، فَهوَ خَرائِبٌ ... وَاســـتَأصَـــلوا الأَصـــنامَ فَهيَ هَباءُ
يَمشـــونَ تُغضـــى الأَرضُ مِنهُمْ هَيبَةً ... وَبِـهِـمْ جِـيـالَ نَـعـيـمِـهـا إِغضـــاءُ
حَـتّـى إِذا فُـتِـحَـت لَـهُـمْ أَطـرافُـهـا ... لَـم يُـطـغِـهِـمْ تَـرَفٌ وَلا نَـعـمـاءُ
يـا مَن لَـهُ عِزُّ الشَـــفـاعَـةِ وَحـدَهُ ... وَهـوَ الـمُـنَـزَّه مـا لَـهُ شُـــفَـعـاءُ
عَرشُ القِيـامَـةِ أَنـتَ تَحـتَ لِوائِـهِ ... وَالحَوضُ أَنـتَ حِيـالَـهُ السَّقّاءُ
تَروي وَتَســـقي الصـــالِحينَ ثَوابَهُمْ ... وَالصـــالِـحـاتُ ذَخـائِـرٌ وَجَـزاءُ
أَلِمِثـلِ هَـذا ذُقـتَ في الـدُنيـا الطَوى ... وَانشَـــقَّ مِن خَـلَـقٍ عَـلَـيـكَ رِداءُ
لي في مَـديحِـكَ يـا رَســـولُ عَرائِسٌ ... ثُـيِّـمنَ فـيـكَ وَشـــاقَـهُـنَّ جَـلاءُ
هُنَّ الحِســـانُ فَـإِن قَبِلـتَ تَكَرُّمًـا ... فَـمُـهـورُهُـنَّ شَـــفـاعَـةٌ حَســـنـاءُ
أَنـتَ الَّـذي نَـظَـمَ الـبَـرِيَّـةَ دِيـنُـهُ ... مـاذا يَـقـولُ وَيَـنـظُـمُ الشُـــعَـراءُ
المُصـــلِحونَ أَصـــابِعٌ جُمِعَت يَدًا ... هِيَ أَنـتَ، بَـل أَنـتَ اليَدُ البَيضـــاءُ
مـا جِئـتُ بـابَـكَ مـادِحًـا، بَـل داعِيًـا ... وَمِـنَ الـمَـديـحِ تَضَـــرُّعٌ وَدُعـاءُ
أَدعوكَ عَن قَومي الضِـــعافِ لِأَزمَـةٍ ... في مِـثـلِـهـا يُـلـقـى عَـلَـيـكَ رَجـاءُ
أَدرى رَســـولُ اللهِ أَنَّ نُـفـوسَـــهُـمْ ... رَكِـبَـت هَـواهـا وَالـقُـلـوبُ هَـواءُ
مُتَفَكِّكونَ فَمـا تَضُـــمُّ نُفوسَـــهُمْ ... ثِقَـةٌ وَلا جَـمَـعَ الـقُـلـوبَ صَـــفـاءُ
رَقَـدوا وَغَـرَّهُـمُ نَـعـيـمٌ بـاطِـلٌ ... وَنَـعـيـمُ قَـومٍ فـي الـقُـيـودِ بَـلاءُ
ظَلَموا شَـــريعَتَـكَ الَّتي نِلنـا بِهـا ... مـا لَم يَنَـل في رومَـةَ الفُقَهـاءُ
مَشَـتِ الحَضـارَةُ في سَـناها وَاهتَدى ... في الـدينِ وَالـدُنيـا بِهـا السُـــعَـداءُ
صَـــلّى عَلَيكَ اللهُ ما صَـــحِبَ الدُجى ... حـادٍ، وَحَـنَّـت بِـالـفَـلا وَجِـنـاءُ

وَاســـتَقبَلَ الرِضـــوانَ في غُرُفـاتِهِمْ بِـجِنــانِ عَـدْنٍ آلُـكَ السُـــمَحـاءُ
خَيرُ الوَســـائِلِ، مَن يَقَع مِنهُم عَلى سَـــبَبٍ إِلَيكَ فَحَســـبِيَ الزَهراءُ (1)

(1) أحمد شوقي، الشوقيات، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، 2002م،ج1، ص34–41.